(من أخلاقيات العمل التطوعي–2–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى:14].

ويقول سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:9-10].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا**» [رواه الترمذي وأحمد].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**» [رواه الحاكم والبيهقي].

عن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**الْعَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ كَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ**» [رواه أبو داود].

عن الحسن رحمه الله قال: من دُفعت إليه الصدقة فوضعها مواضعها فله أجر صاحبها.

أيها الإخوة:

كَثُرَ في أيَّام الأزمة –التي نرجو الله كشفها– العاملون في مساعدة المتضررين، والمتطوعون بالجهد إذ لم يسعفهم المال، وربما جمع الله لقوم الخَيرين فبذلوا جهدا ومالاً.

كان في هؤلاء العاملين والمتطوعين للخير رجال ونساء، طلاب وحرفيون، مثقفون وأقل ثقافة، فقراء وأغنياء.

ومع طول الأزمة، ومع كثرة حاجات المتضررين، ومع الشدة النفسية التي أصابت الكثير من الناس، راحت تظهر في العاملين والمتطوعين مظاهرُ للتأفف حيناً وللتذمر حينا آخر، وأقوالٌ وأفعالٌ لبقةً مرةً وغيرُ لبقةٍ أخرى، وربما سوَّلت لامرءٍ نفسُه لمد اليد إلى ما لا يَحلُّ أو لفعل ما لا يجوز، الأمر الذي دعا لإعداد هذه الخطبة وسابقتها وعنونتهما:

(من أخلاقيات العمل التطوعي)

سبق أنَّ هذه المادة –أعني أخلاقيات العمل– باتت اليوم مصطلحاً عالمياً تتنافس على تطبيقه والعملِ عليه الدول والمؤسسات والشركات المتقدمة، فأكثر من 80 بالمئة من الشركات العالمية الناجحة تعمل وفق قانونٍ واضحٍ للأخلاقيات.

وبدأت الآن تتشكل نظرية جديدة في الإدارة تقوم من حيث المبدأ على القيم والأخلاق.

واعلموا أن مادة أخلاقيات العمل التطوعي باتت مقرراً من مقررات التدريب والتأهيل على الأعمال التطوعية، وليس غائباً عنكم أن ثلث الإسلام أخلاق، فالدين عقيدةٌ وشريعةٌ وأخلاقٌ.

لذلك فالحديث عن أخلاقيات العمل التطوعي حديث عن الدين والنجاح والصواب.

جاء في المقرر المعتمد للتدريب على أخلاقيات العمل في جمعية البركة للتنمية الاجتماعية:

(أخلاقيات العمل بالتعريف هي: المبادئ والمعايير التي تعتبر أساس السلوك المستحب من أفراد العمل، ويتعهد الأفراد بالالتزام بها).

ومن أهم القيم والأخلاقيات المطلوب زرعها عند العاملين عامةً والعاملين في التطوع والأعمال الخيرية خاصةً: (الصدق، والأمانة، والاحترام، واللباقة، وتحمل المسؤولية، والإتقان، والالتزام بالنظام، والصبر، والفطنة، والتعاون، والمرونة).

تحدثت الخطبة الماضية عن: الأمانة والصدق، وعن الاحترام واللباقة.

وتتحدث خطبة اليوم عن: التعاون المسؤول، وعن الصبر على تحمل صعوبات العمل.

ثالثاً: التعاون المسؤول:

لا يشك أحدٌ أن العمل الجماعي أو مايسمى بعمل الفريق أحسنُ من العمل الفردي، وأن ما تنتجه الجماعة يفوق بمراتٍ ما ينتجه الفرد، وأن كثيراً من الأهداف والمشاريع لا يُمكن تحقيقها فردياً.

ومبنى العمل الجماعي أو عمل الفريق على التعاون المسؤول.

وإني لأذكر العبارة القرآنية: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ التي تكررت في القرآن الكريم خمسين مرة، هكذا بواو الجماعة، وآخر مرةٍ ذُكِرت في سورة العصر:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ *﴾ [العصر:1-3]، وكنت أتوقع من السياق أن يرد القول: والعصر إن الإنسان لفي خسرٍ إلا الذي آمن وعمل الصالحات ووصى غيره بالحق والصبر!!

لكن القرآن الكريم داعٍ إلى التعاون والجماعة وعمل الفريق في واو الجماعة في عملوا، كما يدعو إليها في واو الجماعة في آمنوا.

أيها الإخوة:

تذكرون أنَّ صلاة الجماعة أحسنُ من صلاة الفرد، وأن صلاة الجُمُعة لا تصح إلا جماعةً، وأنَّ الناس يقفون على عرفاتٍ مجتمعين، ويصومون في رمضان ويفطرون مجتمعين، وكل هذا تدريبٌ عملي على التعاون والعمل الجماعي.

ينتج عن كل ما سبق أن العمل التطوعي المبني على التعاون وعمل الفريق والعمل الجماعي أحسنُ من العمل الفردي، أحسنُ نتيجةً وأسهل أداءً.

وإذا كنا نتحدث عن التعاون في العمل التطوعي فنحن نتحدث عن التعاون المسؤول، بمعنى أن المتعاونين وأن العمل الجماعي وأن عمل الفريق يحتاج إلى مدير: علينا أن نسمع له ونطيع.

ويحتاج إلى نظام: ينبغي على كلِّ المتطوعين أن يلتزموا به.

ويحتاج إلى توزيع للمهام حسب الكفاءات: وعلى كلٍّ منا أن يؤدي ما أُوْكِلَ إليه من دون تقصيرٍ من جهةٍ ومن دون تهورٍ بِعَمَلِ ما لا يُحسن من جهةٍ أخرى.

ويحتاج إلى تقييم: فيه مكافأةُ المجتهدين ومساءلةُ المقصرين.

وكما يكون التعاون المسؤول بين أفراد الجماعة الواحدة العاملة في العمل التطوعي يكون بين المؤسسات العاملة في حقل التطوع من خلال التشبيك والربط بينها لتجنب الازدواجية والثِنى

في معونة بعض الأشخاص من جهةٍ، ولتوفير الجهد والوقت والمال من خلال الإفادة من جهود الآخرين، فنبدأ من حيث انتهى الآخرون من جهةٍ أخرى.

حدَّث مشرفٌ على أعمال الإغاثة أن شخصاً طاف على خمسٍ وعشرين جمعية خيرية ليتلقى مساعداتٍ منها -لو استطاعت هذه الجمعيات تبادل قوائم الذين يتلقون المساعدات منها لتخلصت من أمثال هذا المتطفل-.

أرادت إحدى جهات الإغاثة تقديم سلاتِ غذاءٍ إلى الأسر المتضررة المقيمة في واحد من أحياء دمشق، فتواصلت مع جمعيةٍ عاملةٍ في ذاك الحي، فزودتها ببعض البيانات التي تسهل العمل وتوصل المعونة إلى مستحقيها بأفضل أسلوبٍ ممكن، كانت الجمعية قد بذلت في إعداد هذه البيانات جهداً ووقتاً ومالاً، فوفرت على تلك الجهة الجهد والوقت والمال.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:2]، قال البيهقي: (المعاونة على البر بر)، قال ابن تيمية: (حياة بني آدم وعيشهم في الدُّنْيا لا يتم إلَّا بمعاونة بعضهم لبعضٍ). وقد قيل: لا يعجز القوم إذا تعاونوا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**» [رواه البخاري ومسلم].

رابعاً: الصبر على تحمل صعوبات العمل:

يقع في خَلَد بعض الناس أنَّ العمل التطوعي أو الخيري محفوفٌ بالورود، ممهدٌ بالسرور، ممزوجٌ بالراحة، يتلقاك المستفيد بالشكر، ويستقبلك الناس جميعاً بالثناء.

وهذا الظن في معظمه مجانبٌ للواقع مخالفٌ للحقيقة، وصحيحٌ أن الله تعالى لا يُنقصك مثقالَ حبةٍ من خردلٍ من خيرٍ عملته، ولا يغبنك مثقالَ ذرةٍ من خيرٍ بذلته، لكن البشر ليسوا كذلك، وليسوا طرازاً واحداً، فمنهم الشاكر ومنهم الجاحد، منهم المعين ومنهم المثبط، منهم الأديب ومنهم السفيه...

وأنت مُلَاقٍ في عملك التطوعي جميع هؤلاء وغيرَهم، وأفضل دواء تتجرعه في التعامل معهم الصبر لتنال به الأجر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10].

وصحيحٌ أن الله يُعين من أعان الناس، ويُكرم من أكرمهم، لكن الصعوبات في طريق عمل الخير موجودةٌ، والمشاق في درب البر مبثوثةٌ، وأنت ملاقٍ في عملك التطوعي الصعوبة والمشقة، وأفضل تِرياقٍ تَصُبه على ذا الأمر الصبر: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:115].

عن أبي هريرة قال رضي الله عنه قال: كُنَّا نَقْعُدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا قَامَ قُمْنَا، فَقَامَ يَوْماً وَقُمْنَا مَعَهُ، حَتَّى لَمَّا بَلَغَ وَسَطَ الْمَسْجِدِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ مِنْ وَرَائِهِ –وَكَانَ رِدَاؤُهُ خَشِناً– فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ، فَإِنَّكَ لاَ تَحْمِلُ مِنْ مَالِكَ وَلاَ مِنْ مَالِ أَبِيكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ،... لاَ أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِمَّا جَبَذْتَ بِرَقَبَتِي**». فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: لاَ وَاللهِ لاَ أُقِيدُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لاَ وَاللهِ لاَ أُقِيدُكَ. فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَ الأَعْرَابِيِّ أَقْبَلْنَا إِلَيْهِ سِرَاعاً، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**عَزَمْتُ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلاَمِي أَنْ لاَ يَبْرَحَ مَقَامَهُ حَتَّى آذَنَ لَهُ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ: «**يَا فُلاَنُ، احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيراً، وَعَلَى بَعِيرٍ تَمْراً**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْصَرِفُوا**» [رواه النسائي].

أيها الإخوة المتطوعون والأخوات:

قديماً قالوا: صاحب الحاجة أرعن، بمعنى أنه أهوج، فاستقبلوه بالحلم والصبر والإحسان، واصبروا على ما تلقونه في هذا الطريق فإن لكم برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، وغداً تلقونه بإذن الله على الحوض، وتكونون معه في الجنة لأنكم عملتم عمله، وتخلقتم بخُلُقه، وآمنتم بما جاء به.

أيها الإخوة: هذا شيءٌ من أخلاقيات العمل التطوعي:

1) الصدق والأمانة.
2) الاحترام واللباقة.

3) التعاون المسؤول.

4) الصبر على تحمل صعوبات العمل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ**» [رواه البخاري ومسلم].

والحمد لله رب العالمين